(٤٨)

"موكب النعي"

مرت العربة تجوب الشوارع تنعى فلان ابن فلان، وأخو فلان، ونسيب وقريب عائلات فلان وعلان. مرت لتخبر القاصى والدانى بموت ذلك الفلان الذى هو ابن فلان وأخو فلان وأبو فلان، ولتدعو الجميع لحضور دفنته وجنازته. مرت العربة بين الناس مثلما مرت حياته على الأرض مجرد رحلة عابرة لها نقطة بداية هى لحظة ميلاده التى ربما ابتهج لها الجميع منتظرين إياها، ولها نقطة نهاية هى لحظة موته التى ربما حزن لها البعض ممن عرفوه وأحبوه فترحموا عليه، أو انتظرها البعض الآخر ليرتاحوا من شره، أو ليأكلوا ما تركه لهم من ميراث أمضى عمره فى جمعه وتكنيزه.

مرت العربة، ومرَّ من كان حاضرًا ثم أصبح خبرًا لينساه غدًا من كان يتذكره اليوم. مرت العربة اليوم، وغدًا ستمر الذكرى، وبعد غد ستمضى الذكرى بعدما يمضى من كانوا يتذكرون. رحل الإنسان وبقيت إلى حينٍ ذكراه التى تحمل عبق عمله فى الدنيا. رحل صاحب الذكرى بجسده ليبقى فى ذاكرة محبيه ومبغضيه مجرد صور فى أذهانهم يستدعونها كلما تذكروه. رحل محمولاً على الأعناق ليدفن فى الأعماق بلا حراك بعدما كان من قبل يمشى مختالاً بأزهى الثياب فرحًا بالمال ومتمتعًا بالعيال. رحل غير مرتدٍ لأية ثياب، تاركًا كل المال وتركه كل العيال. صمت بعدما كان يصيح بأعلى صوته، وأغمض

عينيه بعدما كان يطلقهما فى كل حدب وصوب. تيبست يداه وتخشبت قدماه بعد طول حركة وكثرة قيام. استقرت جثته فى قبره بعدما أهيل عليها التراب، وغادر الجميع لينخرطوا فيما كانوا فيه منشغلين، فاعتبَر بالموت من اعتبَر فانتهى، ومرَّ عليه مرور الكرام من التهى ففجر.